أُمِّيَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)
قراءة في المنظور القرآنيّ

The Illiteracy (Ummiyyah) of the Prophet Muhammed
A Study in Qur'anic Perspective

أ. د. حيدر محمّد هناء حميد الشلاه
Prof. Dr. Haider Muhammed Hana' Hameed Al-Shilah

العراق / جامعة بابل/ كلّية العلوم الإسلامية/ قسم علوم القرآن.
Iraq / University of Babylon / College of Islamic Sciences /
Department of Qur'anic Sciences.

qur.haider.mohammed@uobo4lon.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الذي بعثه للعالمين رحمة ومنهجاً، وآله الطيِّبين الطاهرين الذين ارتضاهم أئمة وحججاً.

وبعد...

فإنَّ القرآن الكريم هو البوصلة الدقيقة التي تحدّد العقائد والتشريعات الإلهيَّة للفرد المسلم، فهو المرجِع الأصيل الذي يستند إليه المسلمون؛ ومن بعده تُعضّد الأفكار وتفصّل الأقوال ببيان العترة الطاهرة لتتَّضح الرؤية وتكتمل الفكرة، وهذا المنهج الرصين هو ما أوصى به الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في أخريات حياته حين قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)).

ومن الموضوعات الجديرة بالبحث مصطلح (الأميّة) التي وُصِفَ بها النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فهو مصطلح محوريّ في القرآن الكريم وله دلالات مهمَّة وتترتّب عليه آثار مهمَّة ترتبط بشخصيّة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن ثَمَّ ترتبط بالعقيدة الإسلاميّة؛ لذا من الضروري الوقوف عند هذا المصطلح واستكناه دلالاته وقراءته في ضوء المنظور القرآنيّ.

ونظراً لما وجده الباحث من آراء مختلفة ومتعارضة بين العلماء والمفسّرين في

بيان معنى أميّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وما يترتّب عليها من آثار عقائديّة تولّدت لديه قناعة كافية بكتابة بحثه هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم على مطالب؛ فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأوَّل: دلالة مصطلح (الأمّيّ) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: وصف النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالأمّيّ في القرآن، والغاية من ذلك.

المطلب الثالث: المقصود بأمّيّة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

المطلب الرابع: من الذي علّم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) القراءة والكتابة.

المطلب الخامس: الآراء التي فسّرت معنى أمّيّة النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومناقشتها.

ثُمَّ تلتها خاتمة تضمّنت أهم نتائج البحث، وبعدها قائمة بالمصادر التي استعان بها الباحث لإنجاز بحثه، وختاماً أدعو الله تعالى أن يتقبّل منّا هذا العمل إنَّه سميع مجيب.

الكلمات المفتاحيّة: الأمّيّة ـ المنظور القرآنيّ

this term, unveil its meanings, and interpret it in the light of the Qur'anic perspective.

Because of the varying and conflicting opinions among scholars and exegetists regarding the interpretation of the Prophet's illiteracy (peace be upon him and his pure progeny) and its resulting doctrinal implications, the researcher found sufficient conviction to write this research. Due to the nature of the research, it must be divided into five sections as follows:

The First Section: The Significance of the term 'Ummi' in Language and Terminology.

The Second Section: The Description of the Prophet (peace be upon him and his pure progeny) as 'Ummi' in the Qur'an and the purpose behind that.

The Third Section: The Intended Meaning of the Ummiyyah of Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny).

The Fourth Section: Who Taught the Prophet (peace be upon him and his pure progeny) to read and write?

The Fifth Section: Various Interpretations of the Meaning of the Ummiyyah of Prophet Muhammed (peace be upon him and his pure progeny) and discussing it.

And then comes the conclusion that includes the most important findings to be followed by a list of sources.

Keywords: Ummiyyah, Qur'anic perspective

Abstract :

Praise be to Allah, Who has revealed the Qur'an to His servant and has not made therein any deviance. Peace and blessings be upon His Messenger, the chosen one, who was sent as a mercy and as a guide to the worlds. And blessings be upon his pure and immaculate progeny.

The Glorious Qur'an serves as the precise compass that defines the beliefs and divine legislation for the Muslim individual. It is the authentic reference that Muslims rely upon. Afterward, ideas are reinforced, and statements are elaborated through the clarification of the pure progeny in order to ensure a clear vision and complete understanding. This sound methodology is what the beloved Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) recommended in the final days of his life when he said, 'Verily, I am leaving behind two weighty things among you: the Book of Allah (the Qur'an) and my Ahl al-Bayt (pure progeny). If you hold fast to them, you will never go astray after me, for indeed, they will never separate until they meet me at the Pond (of Kawthar).'

Among the significant topics that worth researching is the term 'Illiteracy' (Ummiyyah) by which the Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) was described. It is a central term in the Glorious Qur'an with important connotations and having consequential effects related to the personality of Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) and consequently connected to the Islamic creed. Therefore, it is necessary to delve into

المقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الذي بعثه للعالمين رحمة ومنهجاً، وآله الطيبين الطاهرين الذين اتخذهم أئمة وحججاً.

وبعد فإنَّ القرآن الكريم هو البوصلة الدقيقة التي تحدّد العقائد والتشريعات الإلهيّة للفرد المسلم، فهو المرجِع الأصيل الذي يستند إليه المسلمون؛ ومن بعده تُعضّد الأفكار وتفصّل الأقوال ببيان العترة الطاهرة لتتّضح الرؤية وتكتمل الفكرة، وهذا المنهج الرصين هو ما أوصى به الحبيب المصطفى (ﷺ) في أخريات حياته حين قال (ﷺ): ((إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً، وأنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض))[1].

ومن الموضوعات الجديرة بالبحث مصطلح (الأمّيّة) التي وُصِفَ بها النبيّ محمَّد (ﷺ) فهو مصطلح محوريّ في القرآن الكريم وله دلالات مهمّة وتترتّب عليه آثار مهمّة ترتبط بشخصيّة النبيّ محمّد (ﷺ)، ومن ثَمَّ ترتبط بالعقيدة الإسلاميّة؛ لذا من الضروريّ الوقوف عند هذا المصطلح واستكناه دلالاته وقراءته في ضوء المنظور القرآنيّ.

ونظراً لما وجده الباحث من آراء مختلفة ومتعارضة بين العلماء والمفسّرين في بيان معنى أمِّيَّة النبيّ (ﷺ) وما يترتّب عليها من آثار عقائديّة تولّدت لديه قناعة

كافية بكتابة بحثه هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم على مطالب؛ فكانت على النحو الآتي:

المطلب الأوّل: دلالة مصطلح (الأمّي) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: وصف النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالأمّيّ في القرآن، والغاية من ذلك.

المطلب الثالث: المقصود بأمّيّة النّبيّ محمّد (ﷺ).

المطلب الرابع: من الذي علّم النبيّ (ﷺ) القراءة والكتابة.

المطلب الخامس: الآراء التي فسّرت معنى أمّيّة النبيّ محمّد (ﷺ) ومناقشتها.

ثُمَّ تلتها خاتمة تضمّنت أهمَّ نتائج البحث، وبعدها قائمة بالمصادر التي استعان بها الباحث لإنجاز بحثه، وختاماً أدعو الله تعالى أن يتقبّل منّا هذا العمل إنّه سميع مجيب.

المطلب الأول: دلالة مصطلح (الأمّيّ) في اللغة والاصطلاح:

الأُمِّيَّة في اللغة:

جاء في لسان العرب أنَّ ((الأمّيّ الذي لا يكتب، قال الزجَّاج: الأمّيّ الذي على خلقة الأمّة لم يتعلّم الكتاب فهو على جبلَّته)).[٢] وورد زيادة على ذلك في المعجم الوسيط أنَّ ((الأمّيّ، نسبة إلى الأمّ، ومن لا يقرأ ولا يكتب. (الأمّيّة): مؤنَّث الأمّيّ. وهو مصدر صناعيّ، معناه الغفلة أو الجهالة)).[٣]

والأمّيّ من ليس له الفضل والعلم والتربية والنظر إلّا بمقدار ما يؤخذ بالطبيعة من الأمّ، فبرنامج حياته طبيعيّ ليس في قوله وعمله وفكره تصنّع ولا حيلة ولا تكلّف ولا نظر خاصّ.[٤]

معنى الأمّيّة في الاصطلاح:

الأمّ بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته. ولهذا قيل لحواء هي أمّنا وإن كان بيننا وبينها وسائط، ويقال لكلِّ ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مُبدئه أمّ، قال الخليل: كلُّ شيء ضّمّ إليه سائر ما يليه يسمّى أمّاً ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف٤، وقيل لمكَّة أمّ القرى وذلك لما رُوِيَ أنَّ الدنيا دحيت من تحتها، وقال

تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الأنعام٩٢.(٥)

والأمّيّ هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة٢ ، قال قطرب: الأمّيّة الغفلة والجهالة، فالأمّيّ منه وذلك هو قلّة المعرفة ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ البقرة٧٨ أي إلّا أن يتلى عليهم. قال الفراء: هو العرب الذين لم يكن لهم كتاب: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الأعراف١٥٧ قيل منسوب إلى الأمّة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامّيّ لكونه على عادة العامّة، وقيل سُمِّيَ بذلك لأنَّه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله سبحانه منه.(٦)

المطلب الثاني: وصف النبي (ﷺ) بالأمّيّ في القرآن، والغاية من ذلك:

وَصَفَ القرآن الكريم النبيّ الأكرم محمّداً (ﷺ) بـ (الأمّيّ) في آيتين من آيات القرآن الكريم؛ وقد جاءت كلتاهما في سورة الأعراف وهما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف١٥٧ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف١٥٨.

ففي هاتين الآيتين وَصَفَ الله تعالى نبيّه بالأمّيّ؛ والأمّيّ كما تقدّم في المطلب الأوّل في تعريف مصطلح الأمّيّ لغة واصطلاحاً ظهر أنَّه ذلك الشخص الذي ليس له معرفة بالقراءة والكتابة والعلم والتربية والنظر إلّا بمقدار ما يؤخذ بالطبيعة من الأمّ، فبرنامج حياته طبيعي؛ وليس في قوله وعمله وفكره تصنّع ولا حيلة ولا تكلّف ولا نظر خاصّ.

الغاية من وَصْفِ النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ:

كان العرب سادة الجزيرة العربيّة، وقريش سادة العرب، وعندما جاء الإسلام سلبهم كيانهم وطغيانهم وهيمنتهم على مقدّرات الأمور وحطّم جبروتهم

واستعبادهم للناس؛ لذا جرت مخطّطاتهم ليلاً ونهاراً من أجل إطفاء شعلة هذا النور الإلهيّ، ففكروا مرّة بقتل النبيّ محمّد (ﷺ)، وأخرى بنفيه، وأخرى بتأليب القبائل وشنّ الحرب عليه. وكلّ هذه المحاولات باءت بالفشل، وكانت من ضمن محاولاتهم، التشكيك بمعجزة الرسول محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسلاحه التبليغيّ الأقوى وهو القرآن الكريم، فكان من المتوقّع أن يثيروا الشبهات حوله، فيقولوا بأنَّ هذا القرآن هو من وحي النبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) أو إنَّه أساطير الأولين اكتتبها النبيّ محمّد (ﷺ) فهي تملى عليه، وقالوا إنَّه شاعر كسائر شعراء العرب، وقالوا إنَّه كاهن من الكهنة بل أكثر من ذلك فقد وصفوا القرآن بأنَّه أضغاث أحلام وأكاذيب وافتراءات على الله تعالى وهي من خيال النبيّ محمّد (ﷺ)؛ كما اتَّهموه (ﷺ) بالضلال والغواية؛ حتى وصل بهم الأمر أن يتهمونه بالجنون جلّ مقامه وعلا شأنه عن ذلك علوّاً كبيراً، كلّ ذلك من أجل التوهين برسالته السمحاء المباركة وذلك عن طريق التشكيك بالقرآن الكريم.

وقد وثّق القرآن الكريم كلّ تلك الاتّهامات وردّ عليها كلاً بحسبه ومناسبته، أمّا عن مكائدهم العسكريّة ومحاولاتهم قتله (ﷺ) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال/ ٣٠.

وأمَّا عن قولهم بأنَّ القرآن الكريم أساطير الأوّلين كما نقل عنهم في الآية المباركة: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ الفرقان/ ٥ أو قولهم أنَّه حديث مختلق ومفترى من النبيّ محمّد وليس من الله سبحانه، فردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود/ ١٣.

وردّ القرآن الكريم قولهم إنَّه كاهن او مجنون بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور/ ٢٩.

وأمّا عن قولهم بأنَّ ما جاء به النبيّ محمّد (ﷺ) أضغاث أحلام أو افتراء أو أنَّه شاعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء/ ٥. فردّ عليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يس/ ٤٠،

وردّ قولهم إنَّه على ضلالة وغواية أو إنَّ القرآن من نسج خياله وهواه حاشاه من ذلك (ﷺ)، فقد ردّ القرآن الكريم بسورة مباركة افتتحها بالقسم تأكيداً لمضامينها وهي سورة النجم إذ قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ النجم/ ١ ـ ٤.

ولو لاحظنا الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في الدفاع عن رسالة الإسلام المتمثّلة بمصداقية شخص النبيّ محمّد (ﷺ) وموثوقية القرآن الكريم، لوجدنا أنَّه أحياناً يستعمل الأسلوب العقليّ المستوحى من الواقع الذي يعيشه

أولئك المشكّكون، فعندما زعموا أنَّ هذا القرآن كلام افتراه النبيّ محمّد (ﷺ) طالبهم أن يأتوا بمثله أو ببعض منه، فلمّا عجزوا عن ذلك أذعنوا واستسلموا.

وبعد إذعانهم أبعد الله تعالى كلّ الاتهامات والافتراءات الموجّهة إلى النبيّ (ﷺ) وأثبت دقّته وأمانته بنقل كلام الله تعالى إلى الناس، وذلك بقوله تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) ﴾ النجم/ ٣ ـ ٤.

وفي ظلِّ هذه الأجواء المريبة والظروف الحالكة التي كان المشركون يحاولون فيها توظيف كلّ دليل في إبطال دعوة النبيّ محمّد (ﷺ) ـ وإن كان هذا الدليل واهناً بل واهماً ـ لذا كان من مقتضيات الحكمة الإلهيّة أن لا تظهر على شخصيّة النبيّ محمّد (ﷺ) معالم القراءة والكتابة والعلم، فلم يكن معروفاً بين العرب أنَّهم شاهدوا النبيّ محمّداً (ﷺ) يكتب كتاباً أو يقرأ كتاباً ولو لمرّة واحدة، ما ذلك إلّا لدفع شبهات المشركين بأنَّ القرآن الكريم هو من كتابة النبيّ محمّد (ﷺ)؛ لذا جاء وصفه (ﷺ) بالأمّيّ كما مرّ في الآيتين السابقتين من سورة الأعراف، وتأكّد المعنى في سورة العنكبوت بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت٤٨، دفعاً لأقاويل المغرضين والمناوئين لرسالة الإسلام العظيمة.

وفي ضوء ما تقدّم تتَّضح الغاية التي من أجلها وُصِفَ النبيّ محمّد (ﷺ) بالأمّيّ إذ صرّح القرآن الكريم فيما ذكره تعالى من سورة العنكبوت بأنَّ المبطلين سيرتابون ويشكّكون لو كان النبيّ (ﷺ) معروفاً بالقراءة والكتابة.

المطلب الثالث: **المقصود بأمّيّة النّبيّ محمّد** (ﷺ):

من المسائل المتَّصلة بصفات الكمال الإنسانيّ وخصال الامتياز والتفوّق أن يوصف الرجل بأنَّه عالم؛ ومن أولى مقدّمات العلم القدرة على القراءة والكتابة، كما أنَّ من متطلَّبات الخطيب والمبلّغ مهما صغرت مهمَّته أن يكون ذا قدرة على البيان والفصاحة، فكيف إذا كان ذلك الخطيب نبيّاً، بل أفضل الأنبياء وهو الخاتم محمّد (ﷺ)، فالنبيّ محمّد (ﷺ) هو أكمل الخليقة وأعلمها ولا يمكن أن نتصوّر ولا للحظة واحدة أنَّه يعتريه نقص من النواقص البشريَّة، ولا سيّما إذا كان ذلك النقص يتعلّق بمهمته التبليغيّة ووظيفته الرساليّة ألّا وهو عدم قدرته على القراءة والكتابة؛ وهنا قد يجد القارئ تعارضاً بين ما ذكره القرآن الكريم وأوردناه قبل القليل بوصف النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ وبين ما ذكرناه بأنَّه أسمى وأرفع من أنَّه (ﷺ) يجهل القراءة والكتابة، ولرفع هذا التعارض نقول:

إنَّ وصف النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ كان وصفاً مَجازيّاً وليس حقيقيّاً الغاية منه دفع شبهات المشكّكين، ويتأتَّى هذا الحكم بعد استحضار النصوص القرآنيَّة الكريمة ذات الصلة بهذا المعنى ومقابلتها مع وصف النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ؛ عند ذلك يظهر لنا جليّاً أنَّ النبيّ (ﷺ) وإن لم يظهر قدرته على القراءة والكتابة إلّا إنَّ ذلك لا يعني عدم امتلاكه لهذه القدرة، فالقرآن الكريم في الوقت الذي أكّد فيه ترسيخ فكرة أمّيّة النبيّ (ﷺ) إلّا أنَّه لم يصرّح بحقيقة هذه الأمّيّة ودلالتها لحكمة إلهيّة بالغة اقتضتها مهمّته

الرساليّة، وهذا ينسجم مع القاعدة الفلسفيّة القائلة: عدم الوجدان لا يدلُّ على عدم الوجود، وثمّة أدلَّة كثيرة لا تصرّح بقدرته على القراءة والكتابة فحسب؛ بل تؤكّد أنَّه(ﷺ) سيِّد الفصحاء والمتكلِّمين، منها:

أوّل نصّ قرآنيّ نزل من السماء على النبيّ محمّد (ﷺ) يأمره بالقراءة مرّتين، وفيه إشارة إلى أنَّ الله تعالى هو معلّمه وفيه ذكر لآلة الكتابة وهي القلم، وهنا تجتمع الدعوة للقراءة والكتابة للنبيّ (ﷺ) قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ العلق/ ١ـ٥، قيل إنَّ الله تعالى أمره أوَّل مرَّة بالقراءة لنفسه وبالثانية للتبليغ، ولا يراد منها التكرار كما نقل عن الجبائيّ.(٧)

وممَّا يجدر ذكره أنَّ الله تعالى قد ذكر القراءة مرّتين في هذه السورة؛ لما لها من أهمّيّة بالغة. وذكر القلم؛ لما فيه من فوائد وخصائص تسهم في ترقّي الإنسان، وهذا الذكر الإلهيّ لهذين الأمرين لا يخلو من علّة وحكمة تناسب المقام، فكيف يمكن أن نتصوّر أنَّ الله تعالى يأمر نبيَّه الأكرم (ﷺ) بالقراءة مرّتين، ثُمَّ يذكر بعد ذلك آلة الكتابة، في أوّل خطاب إلهيّ بينهما، ويكون مع كلِّ ذلك غير قادر على القراءة والكتابة؟!

١. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة٢،

فكيف يتلو الآيات عليهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وهو لا يحسن القراءة والكتابة.[٨]

٢. قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ الرحمن/ ١ ـ ٤، أي إنَّ الله تعالى هو الذي علّم نبيّه (ﷺ) القرآن؛ والنبيّ (ﷺ) بدوره علّمه لأمته، وقوله تعالى: ((علّمه البيان)): أي علّمه النطق والقراءة والكتابة والخط والفهم بجهاته كافّة.[٩]

٣. قول النبيّ (ﷺ): ((أنا أفصح العرب))[١٠]، فكيف يكون أفصح العرب ولا يجيد القراءة والكتابة؟ !!

٤. ما ذكره الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد(ت٤١٣هـ) في بيان رأيه في ذلك فقال: إنَّ الله تعالى لمّا جعل نبيّه (ﷺ) جامعاً لخصال الكمال كلّها وخلال المناقب بأسرها، لم تنقصه منزلة بتمامها يصحّ له الكمال ويجتمع له الفضل، والكتابة فضيلة من مُنِحَها فَضُل ومن حُرِمَها نقص، ومن الدليل على ذلك: أنَّ الله تعالى جعل النبيّ (ﷺ) حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه، فلا بدَّ أن يعلمه الحكم في ذلك، وقد ثبت أنَّ أمور الخلق يتعلّق أكثرها بالكتابة؛ فتثبت بها الحقوق وتبرأ بها الذمم وتقوم بها البيّنات وتحفظ بها الديون وتحاط بها الأنساب وأنَّها فضل يشرّف المتحلّي به عن العاطل منه، وإذا صحَّ أنَّ الله تعالى جعل نبيّه بحيث وصفناه من الحكم والفضل؛ ثبت أنَّه (ﷺ) كان عالماً بالكتابة محسناً لها.[١١]

٥. إنَّ القراءة والكتابة تُعَدَّانِ صفتا مدح، والمفروض بأيِّ نبيّ فضلاً عن خاتمهم أن يكون جامعاً لصفات المدح وخصال الكمال.[١٢]

المطلب الرابع: من الذي علّم النبيّ (ﷺ) القراءة والكتابة:

بعد أن بيّنّا أنَّ النبيّ (ﷺ) خير من أجاد القراءة والكتابة بل هو معلّم البشريّة جمعاء، ولا أحد يسمو فوق مقامه (ﷺ)، يرد سؤال في الأذهان إذا كان النبيّ (ﷺ) لديه هذه القدرة العلميّة الكبيرة في القراءة والكتابة، فكيف حصل عليها؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من مقدّمة نقول فيها إنَّ شخصاً كالنبيّ محمّد (ﷺ) لا يمكن أن يكون تَعَلُّمُه قد تحصّل عند الكتاتيب أو في المدارس أو تلقّاه على يد أحد العلماء مهما علا شأن ذلك العالم؛ لأنَّه (ﷺ) أفضل الخلق، وأنَّه بلغ من الرفعة والسمو مراتب لم يبلغها أحد قبله، ولن يبلغها أحد بعده، وقد صرّح القرآن الكريم ببعضها كما سنذكره بعد قليل، فإن لم يكن تعليمه (ﷺ) على يد معلّم من البشر فمن الذي علّمه؟

إنَّ المعلِّم الذي تعلَّم عنده النبيّ محمّد (ﷺ) هو الله (جلّ جلاله) بوساطة الأمين جبرائيل (عليه السلام)، فتعليمه (ﷺ) تعليم إلهيّ وليس بشريّاً؛ وثمّة أدلّة كثيرة تؤكِّد ذلك؛ منها:

١. قوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ الأعلى٦، الذي فيه إشارة إلى أنَّ الله تعالى سيُقرئُ نبيَّه (ﷺ) قراءة لا ينساها، وهذا مائز كبير بين التعلّم البشريّ والتعلّم الإلهيّ، فالتعلّم البشريّ معرّض للنسيان؛ وثباته مشروط بدوام المراجعة والمذاكرة، أمّا التعلّم والإقراء الإلهيّ فهو لا نسيان فيه كما صرّح بذلك القرآن الكريم إذ استعمل (لا) النافية مع

الفعل المضارع الذي يفيد التجدّد والاستمرار، بمعنى أنَّه نفى النسيان بصورة مطلقة.(١٣)

٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧)﴾ النجم/ ٣ـ٦، وهذه الآيات الكريمة تؤكِّد المعنى السابق وهو أنَّ علم النبيّ (ﷺ) وتعلّمه من لدن الله تعالى بوساطة الأمين جبرائيل (عليه السلام)، ثُمَّ بيّنت الآية حال النبيّ (ﷺ) بعد تلقّيه العلم الإلهيّ: (فاستوى) أي اعتدل فهمه في علم القرآن وحفظه.(١٤)

٣. قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ الرحمن/ ١ ـ ٤، أي إنَّ الله تعالى هو الذي علّم نبيّه (ﷺ) القرآن؛ والنبيّ (ﷺ) بدوره علّمه لأمته، وقوله تعالى: ((علّمه البيان)): أي علّمه النطق والقراءة والكتابة والخطّ والفهم بجهاته كافّة.(١٥)

٤. قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ *﴾ القيامة/ ١٦ـ ١٩، قيل: إنَّ النبيّ (ﷺ) كان يُتِمُّ تلاوة الآية قبل أن يتلوها عليه جبرائيل (عليه السلام)، فعندئذ نزلت هذه الآيات المباركات لتطمئن النبيّ (ﷺ) بأن لا يتعجّل بحفظ القرآن وضمّه إلى صدره فإنَّ هذا الأمر موكول إلى الله تعالى وهو المتكفّل بجمع القرآن كلِّه وضمّه في صدره (ﷺ)، ثُمَّ بعد ذلك تعليمه بيان القرآن وحقائقه وأسراره.(١٦)

٥. قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/ ١ــ٥ وهذه الآيات المباركة تظهر دليلاً قرآنيّاً آخر على أنَّ النبيّ (ﷺ) عالم بالقراءة والكتابة، إذ إنَّ فيها دعوة من الله تعالى لنبيّه ليقرأ وتكرار الدعوة مرّتين، وفي هذه الدعوة للقراءة خصوصية، وهي أنَّها قراءة باسم الله تعالى، إذ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وثمّة دليل آخر تسوقه لنا هذه السورة المباركة، وهو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فالآيات هنا تربط التعليم والقراءة بالقلم بوصفه أداة للكتابة وتقييد العلم، ولنا أن نلحظ جملة إشارات من هذه الآيات المباركة، منها إنَّ أمر الله تعالى لنبيّه (ﷺ) بالقراءة مرّتين دليل واضح على أهمية القراءة وضرورة تعلُّمها للبشريّة كافّة، وله بنحو أخصّ، إنَّ ذكر القلم في سياق الحديث عن القراءة والتعليم له دلالة واضحة على أهميّة الكتابة، لعامّة الناس ولا سيّما الأنبياء وخصوصاً نبيّنا الأكرم محمّد (ﷺ) بوصفه المخاطب مباشرة بهذا النصّ من جهة وبوصفه أفضل الأنبياء (عليهم السلام) من جهة أخرى فلا بدّ أن ينماز بأعلى المراتب بينهم ولا يفوقه أحد منهم، وقد ذكر المفسّرون أنَّ المراد من قوله تعالى: ((علّم بالقلم)) كلّ نبيّ كتب بالقلم. (١٧)

٦. أمّا قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فمعناه أنَّه فقّهه وفهّمه أنواع الهدايات وأبان له أمور الدين والأحكام والشرائع، فصار كلّ ما يتعلّمه

الإنسان آتياً من جهته تعالى؛ لأنَّه هو الهادي والدليل وهو العالم بذاته المعلّم لغيره، فإذا كان النبيّ (ﷺ) عالماً بكلِّ أنواع الهدايات وفاهماً وفقيهاً بكلّ الشرائع والأحكام الإلهيّة كيف لأحد أن يتصوّر أنَّه لا يعرف القراءة والكتابة.[١٨]

٧. قول الإمام عليّ (عليه السلام) في الحديث المشهور المتواتر: ((علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كلِّ باب ألف ألف باب))[١٩]، وهذا المستوى العلميّ لا يمكن لبشر أن يؤتاه إلّا بوحي إلهيّ.

المطلب الخامس: الآراء التي فسّرت معنى أمّيّة النبيّ محمّد (ﷺ) ومناقشتها:

اختلف العلماء والمفسّرون والمفكّرون في معنى وصف النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ، وفيما يأتي نعرض أهمّ هذه الآراء التي ذكرت في هذه المسألة:

الرأي الأوَّل: الذي لا يقرأ ولا يكتب:

وهو من أشهر الآراء وقد ذهب إليه كثير من العلماء والمفكّرين والمفسّرين، ومنهم الفخر الرازيّ الذي يقول ببقاء النبيّ (ﷺ) أمّيّاً مدى عمره الشريف، وعدّ ذلك من جملة معجزاته[٢٠].

ووافقه على ذلك القرطبيّ فقد جزم هو الآخر بأنَّ النبيّ (ﷺ) بقي طيلة حياته أمّيّاً فقال: الصحيح في الباب أنَّه (ﷺ) ما كتب ولا حرفاً واحداً، وإنَّما أمر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجّأ، وكذلك عدّ ذلك نوع إعجازٍ إذ قال: وبكونه أمّيّاً في

أمّة أمّيّة قامت الحجّة وأفحم الحاسدين، وانحسمت الشبهة، فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب وتكون آية، وإنَّما الآية أن لا يكتب.[٢١]

الرأي الثاني: الأمّيّ هو الذي لا يكتب:

وهو ما ذكره الفخر الرازيّ نقلاً عن الزجّاج؛ إذ قال: الأمّيّ الذي على صفة أمّة العرب، واستشهد بقول النبيّ ((إنَّا أمّة أمّيّة لا نكتب ولا نحسب))[٢٢]

وذكر الشيخ الطوسيّ في تفسير قوله تعالى: ((وما كنت تتلو قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون)) العنكبوت/ ٤٨: أنَّ الله تعالى بيّن أنَّه لم يكتب؛ لأنَّه لو كتب لشكَّ المبطلون في القرآن وقالوا: هو قرأ الكتب، أو هو يصنّفه ويضمُّ شيئاً إلى شيء في حال بعد حال، فإذا لم يحسن الكتابة لم تسبق إليه الظِّنَّة[٢٣].

الرأي الثالث: الذي يقرأ ويكتب بعد البعثة:

وهناك من علماء المسلمين من ذهب إلى أنَّه (ﷺ) قد كتب وقرأ بعد البعثة، وفي مقدِّمتهم أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفَّى سنة ٤٧٤هـ؛ الذي ألّف رسالة في هذا الموضوع سمّاها(تحقيق المذهب في أنَّ النبيّ (ﷺ) كتب) واستدلَّ على ذلك بقول الشعبيّ: ما مات النبيّ (ﷺ) حتَّى قرأ صحيفة لعيينة بن حصن، وأخبر معناها؛ ورأى هؤلاء أنَّ هذا لا ينافي كونه أمّيّاً قبل ذلك بنصِّ القرآن، بل رأوه زيادة في معجزاته، واستظهاراً على صدقه وصحَّة رسالته، وذلك أنَّه كتب من غير تعلُّم لكتابة ولا تعاط لأسبابها، وإنَّما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط؛ فكان ذلك خارقاً للعادة.[٢٤]

الرأي الرابع: الأمّيّ نسبة إلى مكّة بوصفها أمّ القرى:

وهذا الرأي يُنسب إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهو أنَّ المراد بالأمّيّ المنسوب إلى مكّة بوصفها البقعة التي دحيت الأرض من تحتها، فهي أمّ القرى، والنبيّ (صلى الله عليه وآله) ولد فيها ونشأ وترعرع فيها فنُسِبَ إليها، وقد وُصِفَت مكّة بذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الأنعام٩٢ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص٥٩.

وقد ذكر الشيخ الصدوق في كتاب علل الشرائع: ((حدّثنا محمّد بن الحسن (رضي الله عنه) قال: حدّثنا سعد بن عبد الله قال: حدّثنا الحسن بن موسى الخشّاب، عن عليّ بن حسّان، وعليّ بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت: إنَّ الناس يزعمون أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكتب ولا يقرأ، فقال كذّبوا لعنهم الله، أنّى يكون ذلك وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة٢، فكيف يعلّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب، قال: قلت: فَلِمَ سُمِّيَ النبيُّ الأمّيّ؟ قال: لأنَّه نسب إلى مكّة، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشورى٧ فأمُّ القرى مكّة فقيل أمّيّ لذلك، وذكر الشيخ

الصدوق أحاديث أخرى عن الإمام الصادق والرضا والجواد (عليهم السلام) تؤيِّد هذا المعنى بألفاظ مختلفة.[٢٥]

الرأي الخامس: المنسوب إلى الأمّة:

وهو أنَّ الأمّيّ منسوب إلى الأمّة أي أمّة العرب؛ لأنَّها لم تكن تحسن القراءة والكتابة.[٢٦]

الرأي السادس: المنسوب إلى الأمّ:

وهو منسوب إلى الأم والمعنى أنَّه على ما ولدته أمَّه قبل تعلّم الكتابة.[٢٧]

الرأي السابع: الذي قام بين الجماهير:

((الذي قام بين صفوف الجماهير)).[٢٨] أي أمّهم، فصار إمامًا لهم.

الرأي الثامن: الذي لم يظهر قدرته على القراءة والكتابة:

يرى السيد الطباطبائيّ ((أنَّ ظاهر التعبير في قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت٤٨، نفي العادة أي لم يكن من عادتك أن تتلو وتخطّ، وقيل: المراد نفي القدرة أي ما كنت تقدر أن تتلو وتخطّ من قبله، والوجه الأوَّل أنسب بالنسبة إلى سياق الحجّة وقد أقامها لتثبيت حقيَّة القرآن وعدم نزوله من عنده)).[٢٩]

وكذلك يذهب الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ إلى هذا الرأي إذ يقول: من الخطأ الكبير أن تتصوّر أنّ عدم التعلّم عند أحد يعني عدم المعرفة بالقراءة والكتابة، والذين فسّروا الأمِّيَّة بعدم المعرفة بالكتابة والقراءة كأنَّهم لم يلتفتوا إلى هذا التفاوت.

ولا مانع أبداً من أنَّ النبيّ (ﷺ) كان عارفاً بالقراءة والكتابة بتعليم الله، ومن دون أن يتتلمذ على يد أحد من البشر؛ لأنَّ مثل هذه المعرفة هي بلا شكٍّ من الكمالات الإنسانيّة، ومكملة لمقام النبوَّة؛ ويشهد بذلك ما ورد في الأحاديث المرويّة عن أهل البيت (عليهم السلام) وحتّى لا يبقى أيُّ مجال لأدنى تشكيك في دعوته لم يكن (ﷺ) يستفيد من هذه المقدرة.(٣٠)

وفي ضوء ما تقدّم من الآراء السابقة يرى الباحث أنَّ الآراء التي فسّرت أمّيّة النبيّ (ﷺ) بعدم معرفته للقراءة والكتابة أو لإحْدَاهما آراء ضعيفة ولا تصمد أمام النقد والاستدلال؛ ذلك أنَّ شخصيةً عظيمةً كالنبيّ محمّد (ﷺ) لا يمكن أن نتصوّر جهلها بأبسط مقدّمات التبليغ والبيان، فضلاً عن الأدلّة القرآنيّة والروائيّة والتاريخيّة التي ذكرت في طيّات البحث.

أمّا الرأي القائل بأنَّ الأمّيّ نسبة إلى أمّ القرى، فهو مقبول على أنَّه توجيه نقضي كما يقول علماء المنطق، أي يقع في صنف الأجوبة الإقناعيّة لا التفصيليّة، بمعنى أنَّ الإمام (عليه السلام) أجاب بهذا الجواب في وقته مراعاة لمقتضى الحال، أو أنَّه أراد أن يبعد شبهة عدم معرفة النبيّ (ﷺ) بالقراءة والكتابة عن أذهان العوام، ولم يسمح المقام آنذاك بالتفصيل.

وأمَّا الرأي القائل بأنَّ الأمّيّ منسوب للأمّة فلا ضير فيه، وكذا القائل بأنَّه الذي يؤمّ الناس، والرأي الراجح هو أنَّ الأمّيّ هو الذي لم يظهر قدرته على القراءة

والكتابة فيتصوّره الناس جاهلاً بهما، والحال خلاف ذلك؛ وهذا الرأي يحقّق الحكمة والمصلحة من وصف النبيّ (ﷺ) بالأمّيّ ولا يخدش بمقامه الكريم.

الخاتمة:

بعد رحلة علميّة ماتعة سار بها الباحث بين طيّات كتب اللغة والتفسير والتأريخ والسيرة انتصاراً للنبيّ الأكرم (ﷺ) وبحثاً عن مفردة من مفردات شخصيّته العظيمة السامية ألا وهي مفردة (الأمّيّة)، تجلّت للباحث مجموعة من النتائج أهمّها:

- إنَّ أمّيّة النبيّ (ﷺ) محمّد لا تعني عدم معرفته بالقراءة والكتابة؛ بل تعني عدم إظهاره للقراءة والكتابة.
- إنَّ النبيّ محمّداً لم يتلقَّ تعليمه على يد معلّم من البشر بل كان تعليمه من الله جلَّ جلاله، وهذا يليق برفعة شأنه وعلوّ مقامه.
- إنَّ الله تعالى أخفى قدرة النبيّ محمّد (ﷺ) على القراءة والكتابة حتّى لا يدّعي المشركون أنَّ القرآن منه، ولم يذكر القرآن صراحة بأنَّ النبيّ (ﷺ) لا يقرأ ولا يكتب، بل صرّح بخلاف ذلك في نصوص كثيرة.
- إنَّ طريقة إقراء الله تعالى لنبيِّه (ﷺ) مختلفة تماماً عن طريقة إقراء البشر، ومن خصائصها أنَّ المقروء فيها لا ينسى.

الهوامش:

١. بحار الأنوار، للعلَّامة المجلسيّ(١١١٠هـ)، ج٢، ص٢٢٦.

٢. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي، ت٧١١هـ، ج١، ص١٥٤.

٣. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج١، ص٢٧.

٤. ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلَّامة المصطفويّ، ج١، ص١٤٩.

٥. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانيّ ت٥٠٣هـ، ص٢٩.

٦. ينظر: المصدر نفسه، ص٣١.

٧. مجمع البيان، للطبرسيّ، ج١٠، ص٧٨١.

٨. ينظر: علل الشرائع، للشيخ الصدوق، ج١، ص١٢١.

٩. الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمّد السبزواريّ، ج٧، ص٦٩.

١٠. بحار الأنوار، للعلَّامة المجلسيّ(١١١٠هـ) ج١٧، ص١٦٠.

١١. أوائل المقالات، للشيخ المفيد(ت٤١٣هـ)، ص١١١ ـ١١٣.

١٢. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبيّ، ج١٤، ص١٩٠.

١٣. تفسير ابن كثير، ج٤، ص٤٣٣.

١٤. ينظر: نهج البيان في كشف معاني القرآن، لمحمّد بن الحسن الشيبانيّ (توفي في القرن السابع الهجري)، ج٥، ص٩١.

١٥. الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمّد السبزواريّ، ج٧، ص٦٩.

١٦. ينظر: نهج البيان في كشف معاني القرآن، ج٥، ص٢٧٥، ونفحات الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمّد عبد الرحيم النهاونديّ(ت١٣٧١هـ)، ج٦، ص٣٨١.

١٧. ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمّد السبزواريّ، ج٧، ص٣٩٠.

١٨. المصدر نفسه، ٣٩١، وينظر: نفحات الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمّد عبد الرحيم النهاونديّ(ت١٣٧١هـ)، ج٦، ص٥٢٧.

١٩. بحار الأنوار، للعلّامة المجلسيّ(ت١١١٠هـ)، ج٢٦، ص٢٩.

٢٠. التفسير الكبير، للرازيّ، ج١٥، ص٣٨٠.

٢١. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ، ج١٣، ص٣٥٣.

٢٢. ينظر: التفسير الكبير، للرازيّ، ج١٥، ص٢٣.

٢٣. ينظر: التبيان في تفسير القرآن، للطوسيّ، ج٨، ص٢١٦.

٢٤. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ، ج١٣، ص٣٥٢.

.٢٥ ينظر: علل الشرائع، للشيخ الصدوق، ج١، ص١٢١.

٢٦. مجمع البيان، للطبرسيّ، ج٤، ص٧٤٩.

٢٧. المصدر نفسه، ج٤، ص٧٤٩.

٢٨. الأمثل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، ج٥، ص١٥٥.

٢٩. الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص١٤٤.

٣٠. ينظر: تفسير البرهان المجلّد الخامس، ص٣٧٣. والأمثل، ج٥، ص١٥٦.

المصادر والمراجع:

١. محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد(ت٤١٣ه)،أوائل المقالات، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاريّ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٣م.

٢. ناصر مكارم الشيرازيّ، ج٥، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٢، مطبعة الأميرة، لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٩م.

٣. البرهان المجلّد الخامس، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قمّ المقدسة، ١٤١٥ه.

٤. أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ(٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن: دار الأميرة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م.

٥. العلَّامة المصطفويّ، ج١، ط١، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مطبعة اعتماد، طهران ـ إيران، ١٣٨٥ ش.

٦. الفخر الرازيّ، ط١، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر، لبنان بيروت، د.ت.

٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١ه)، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٢م.

٨. الشيخ محمّد السبزواريّ، ج٧، الجديد في تفسير القرآن المجيد، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٥م

٩. شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ(ت٧٤٨ه)، سير أعلام النبلاء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٠. محمّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ دار ابن كثير، بيروت –لبنان، ط٣، ١٩٨٧م.

١١. أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النيسابوريّ ت٢٦١ه، ط٥، صحيح مسلم، دار الكتب العلميّة، لبنان ـ بيروت، ٢٠٠٨.

١٢. أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ المعروف بالصدوق ت ٣٨١ه، ج١، ط١،علل الشرائع، مؤسّسة المقدّسة العالميّة للمطبوعات، لبنان ـ بيروت، د.ت.

١٣. أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ، ت٧١١هـ، ج١، لسان العرب، قدّم له: عبد الله العلايليّ، إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط ونديم مرعشليّ، دار لسان العرب، لبنان ـ بيروت، (د. ت).

١٤. الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، ط٧، مجمع البيان في تفسير القرآن، مطبعة أمير، إيران ـ قم، ١٤٢٥ هـ.

١٥. الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١ه)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

١٦. أبي القاسم الحسين بن محمّد بن المفضل الراغب الأصفهانيّ(ت٥٠٣ه)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته وشواهده: إبراهيم شمس الدين، ط٣، بيروت لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٨م.

١٧. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ج١، ط٥، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ٢٠١١م.

١٨. السيد محمّد حسين الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ط١، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان ـ بيروت، ١٩٩٧م.

١٩. الشيخ محمّد عبد الرحيم النهاونديّ(ت١٣٧١هـ)،نفحات الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، ج٦، ط١، مؤسّسة البعثة، قمّ المقدّسة، ١٤٢٥هـ.

٢٠. محمّد بن الحسن الشيبانيّ (توفي في القرن السابع الهجريّ)، ج٥، نهج البيان في كشف معاني القرآن، تحقيق: حسين دركاهي، مطبعة الهادي، ط١، قمّ المقدّسة، ١٤١٩هـ.